تفسير إبن كثير

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (قد مكر الذين من قبلهم) قال : هو نمرود الذي بنى الصرح .قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد نحوه .وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم : أول جبار كان في الأرض نمرود ، فبعث االله عليه بعوضة ، فدخلت في منخره ، فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه ، وكان جبارا أربعمائة سنة ، فعذبه االله أربعمائة سنة كملكه ، ثم أماته االله . وهو الذي كان بنى صرحا إلى السماء ، وهو الذي قال االله : (فأتى االله بنيانهم من القواعد)وقال آخرون : بل هو بختنصر . وذكروا من المكر الذي حكى االله هاهنا ، كما قال في سورة إبراهيم : (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) [إبراهيم : 46] .وقال آخرون : هذا من باب المثل ؛ لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا باالله وأشركوا في عبادته غيره ، كما قال نوح ، عليه السلام : (ومكروا مكرا كبارا) [نوح :

22] أي : احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة ، كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة : (بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر باالله ونجعل له أندادا) [الآية] [سبأ : 33] .وقوله : (فأتى االله بنيانهم من القواعد) أي : اجتثه من أصله ، وأبطل عملهم ، وأصلها كما قال تعالى : (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها االله) [المائدة : 64] .وقوله : (فأتاهم االله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) [الحشر : 2] .وقال هاهنا : (فأتى االله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)